



خطب من ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـزء الأوّل

40. الأمانة الدّينيّة

لا يتحمّلها إلا أصحاب النّفوس الكبيرة

21 جمادى الأولى 1380هـ الـموافق 11 نوفمبر 1960م

الـحمد لله الّذي أنشأ هذه الـموجودات من العدم، وجعل الأمور تـجري علـى أحسن النُّظُم، كمـا أمر عباده بالسّير علـى منهاج هذه السّنن والـحِكَم، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الـملك وله الـحمد وهو علـى كلّ شيء قدير ، وأشهد أنّ مـحمّدا عبده ورسوله، الّذي جاء بنشر تعـاليم الإسـلام، وبثّ روح التّآخي بين الأمم، وبذل تضحيات جسيمة لتفوّق مبادئ الأخلاق حتّى تكـون أسـاس الـنُّظُم، صلوات الله وسلامه عليه، وعلـى آله وأصحابه دعاة الـخير وحُـمـاة الإسلام، وقادة الفكر وأُساة الأنـام، رضي الله عنهم إلـى يوم الدّين.

أمّا بعد: فإنّ من التّجارب الـحيويّة الّتي سار عليها رجال العلم وقادة الفكر ودعاة الإصلاح مـن الأمـم هي الدّعوة إلـى الـخير، ونشر مبادئ الأخلاق، ومـحاربة الرّذائل بكلّ أنواعهـا؛ لأنّ الـحياة الـحقيقيّة فـي هذه الدّنيا لا يمكن أن تقوم علـى أساس متين إلّا إذا قامت نهضة جديدة تبثّ فـي عقول البشـر روح التّآخي، وحبّ التّعاون والتّضامن، وتـهذيب النّفوس بكلّ ما يُكسِب الإنسانية قيمةً مـن القـوّة والعظمـة والرّفعة، والتّخلّي عن كلّ ما يضرّ بقيمة الفكر، ويفسد النّفوس من أنواع الرّذائل ما ظهر منهـا ومـا بطـن. كمـا قال الله –جلّ جلاله–: {قُلْ إِنَّمَـا حَرَّمَ رَبِّـيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَـنَ وَالْإِثْـمَ وَالْبَغْـيَ بِغَـيْرِ الْـحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَـمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف: 33.

انظروا إلـى هذه الآية الّتي جـمعت فـي أسلوب وجيز كلّ الـمبادئ الأخلاقيّة الّتي يـجب علـى البشر أن يسيروا علـى هديها، ويتركوا كلّ ما يضرّ بأجسامهم وعقولـهم وقيمهم الإنسانيّة؛ ليكونوا أفضـل أمّـة علـى وجه هذه الأرض، وأعظم مـجتمع يمكن أن ينهض بأعباء رسالته الدّينيّة والدنيويّة.

غير أنّ من يقوم بخدمة هذه الأخلاق ومزجها بروح الأفراد والـجمـاعات هم الرّجال الّذين اصـطفاهم الله، وخصّهم بميزة الـخُلُق، وقوّة التّفكير والصبــر والــجَلَد؛ لأنّ هـذه الأمانـة الدّينيّـة عظيمـة جـدًّا لا يتحمّلها إلّا أصحاب النّفوس الكبيرة، الّذين يستطيعون أن يتحمّلوا كلّ الصّدمات بقـوّة جـأش، وسـعة صدر، وإيمـان لا يمكن أن يتغيّر أو يتبدّل.

بـهذه الصّفات الكاملة الّتي توجد فـي الرّجال والأشخاص يكون الأمل قويًّـا فــي قيـام هـذه النّهضـة الدّينيّة الّتي تـحمي النّفوس والعقول، وتـخلق شـعبًا عظيمًــا يمكـن أن يـؤدّي أكـبر رسـالة فــي هـذه الـحياة.